الرسالة للشافعي في ميزان العلم

الشيخ د. محمد أمين مصطفى يوسف البكري

المقدمة

الحمد للهِ الملكِ الجبَّار، خالقِ اللَّيلِ والنَّهارِ، ربِّ السَّموات والأرضِ العزيزِ الغفَّار، ثُم الصَّلاةُ والسَّلامُ على نبيّنا محمدٍ السيّدِ المختار، سيّد الرِّجال وإمامِ المرسلين الأخيَار، وعلى آلهِ وصَحبِهِ الطَّيّبين الأطهَار، ما دعَا داعٍ في العَشيّ والأسحار.

أما بعد، يقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[1].

فقد أتانا نبيُّنا العظيمُ بدينٍ بَهر العقولَ قبلَ العيون، وانكسرت عنده شوكةُ المخالفين، وتحطَّمت أمامَه رؤوسُ المكابرين. دينٌ قويمٌ يهدي إلى صِراطٍ مستقيم، بيَّن لنا فيه مصالحَ دنيانا وأُخرانا، وأعدَّ لنا نظامًا متكاملًا شمل نواحيَ حياتيةً مختلفةً لا تقتصر فقط على العبادات من صلاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وغيرِه، بل وتعدَّت إلى نواحٍ أخرى لتشمل الأحوالَ الزوجيةَ والمعاملاتِ والأطعمةَ وغيرَها.

لذلك كان خيرُ ما تُقضى فيه الأوقاتُ وتُبلى فيه الأعمارُ هو طلبُ العلم الشرعي. وإنَّ من أجلِّ هذه العلوم وأنفعِها على العامَّة والخاصَّة هو علمُ الفِقه، فبهِ تُعرف الأحكامُ ويتبيَّن الحلالُ والحرامُ. وفي هذا المعنى قال النبي محمد عليه أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلام: «**إِنَّ الْحَلالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلا وَإِنَّ**

---

[1] التوبة، 33، والصف، 9.

(ISSN : 2536 - 9555)

لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلا وَإِنَّ فِى الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ»[2].

وقد انتقل هذا العلمُ الجليلُ إلينا من الرَّسول صلى الله عليه وسلم إلى الصَّحابة، ومن ثَمَّ إلى التَّابعين، بسِلسِلةٍ ذهبيَّةٍ حتَّى وصل إلى أيدي علماءَ أجلَّاءَ هم أئمةُ هذا العصر والقدوةُ، نقلوها إلينا بعناية وأمانة فائقة. منهم الإمامُ المطَّلبيُّ محمَّدُ بنُ إدريسَ الشافعيُّ رضيَ الله تعالى عنه، الذي فُسِّر فيه حديثُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: «**عالمُ قريشٍ يملأُ طباقَ الأرضِ عِلمًا**»[3]. فقد بعثه الله تعالى على رأس المائة الثانية لنشرِ هذا الدين وحفظِهِ وبيانِ أحكامِهِ مع وضعِ الأدلَّةِ السَّاطعةِ عليه، وقد قال النوويُّ[4] في مجموعه: "تأوَّل بعضُهم حديثَ أبي هريرة رضى الله عنه عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إنَّ اللهَ يبعثُ لهذه الأُمَّةِ على رأسِ كلِّ مائةِ سَنَةٍ من يجدِّدُ لها دينَها**[5]»، فكان في المائة الأولى عمر بن عبد

---

[2] أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت261هـ)، **صحيح مسلم**، بيروت، دار الجيل، د.ت، كتاب البيوع، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، 5/ 50.

[3] أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم (ت287هـ)، **السنة**، د.ب، د.ن، د.ت، 2/ 637.

[4] النوويّ، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمّد بن حِزام الحِزامي الحورانيّ، النوويّ، الشافعيّ، القدوة، الحافظ، الزاهد، العابد، الفقيه المجتهد الرّبانيّ، شيخ الإسلام، صاحب التصانيف التي سارت بها الركبان، واشتهرت بأقاصي البلدان، ولد في المحرم سنة 631هـ بنوى، من تصانيفه: "شرح مسلم"، و"رياض الصالحين"، و"الأذكار"، و"مختصر علوم الحديث"، وهو "الإرشاد"، ثم اختصره وسمّاه "التقريب"، و"تحرير ألفاظ التنبيه". توفي سنة 676هـ. محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت748هـ)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق مصطفى شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2007م، 411/15 ـ415، رقم الترجمة 6618.

[5] أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود** (ت275هـ)، **د.ن، د.ب، د.ت**، كتاب الملاحم، باب مَا يُذْكَرُ فِى قَرْنِ الْمِائَةِ، 4/ 178.

العزيز[6]، وفي الثانية الشافعي، وفي الثالثة ابن سريج[7]، وفي الرابعة الأسفراييني[8]، رحمهم الله"[9].

وعلى يد الشافعي تَتَلمذَ كبكبةٌ فريدةٌ من العلماء، ازدهرت الكتبُ بذكر تراجمِهم، واغتنت بذكر مزاياهم.

أهمية البحث وسبب اختياره

إن كتاب "الرسالة" أهم كتاب في أصول الفقه، وهو الكتاب الأول تأليفًا في هذا المجال، فمن المهم التعريف به لكل طالب علم شرعي، مع توسُّل طريقة الاختصار المفيد، خصوصًا لمن لم يكن اختصاصه أصول الفقه.

---

(6) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأمويّ القرشيّ، أبو حفص: الخليفة الصالح، والملك العادل، من ملوك الدولة الأموية بالشام، بويع له بالخلافة سنة 99هـ، وسكت الناس في أيامه فمنع مسبّة عليّ بن أبي طالب (وكانَ مَنْ تقدَّمَهُ من الأمويين يسبّونه على المنابر) ولم تطل مدّته إذ كانت خلافته سنتين ونصف سنة، وأخباره في عدله وحسن سياسته كثيرة، وكان يدعى "أشجّ بني أمية"، رمحته دابة وهو غلام فشجَّته، ولابن الجوزجيّ: "سيرة عمر بن عبد العزيز". ولد سنة 61هـ، وتوفي سنة 101هـ. خير الدين الزركليّ، **الأعلام**، بيروت، دار العلم للملايين، ط10، 1992م، 5/ 50.

(7) أبو الليث، عبد الله بن سُرَيْجِ بن حُجْرِ بن عبد الله بن الفضل الشيباني البخاريّ الإمام الحافظ محدّث وقته، حفظ 10,000 حديث من غير تكرير. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 23/9، رقم الترجمة 2380.

(8) ركن الدين أبو إسحاق الأسفراييني، إبراهيم بن محمّد بن إبراهيم بن مِهْرَان، الأصوليّ، الشافعيّ، أحد المجتهدين في عصره وصاحب المصنّفات الباهرة، حدّث عنه: أبو بكر البيهقيّ، وأبو القاسم القشيريّ، وأبو الطيّب الطبريّ. ومن تصانيفه: "جامع الحُلّي في أصول الدين والردّ على الملحدين". توفّي يوم عاشوراء 418هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 185/11، 186، رقم الترجمة 3988.

(9) محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت676هـ)، **المجموع شرح المهذب**، جدة، مكتبة الإرشاد، د.ت، 537/1.

(ISSN : 2536 - 9555)

لقد سنحت لي الفرصةُ بالقيام ببحثٍ علميٍّ إسلاميٍّ أحببتُ من خلاله إظهارَ علوِّ هذا الدِّينِ وعظمتِه مع بيان يُسره في مختلف الأحكام الشرعية، إذ إنَّ شريعة نبيِّنا محَّمدٍ صلى الله عليه وسلم من أيسر الشرائع، فاخترت لذلك أن أتناولَ موضوعًا يُبرزُ الغايةَ المنشودةَ، في وقتٍ زادت فيه حاجةُ النَّاس لبيان الحقِّ من الباطل، والصَّحيحِ من الفاسد. فاخترتُ القيمة العلمية لكتاب "الرسالة" للإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى، ليكون موضوعَ بحثي.

الدراسات السابقة لموضوع البحث

لا شك أنه يوجد شرَّاح كثيرون لكتاب "الرسالة" على مر السنين، لكن لم يُعرف في الزمن الماضي غير بعض العلماء القدماء[10]، ومع ذلك لم يُعثر على كتبهم.

ومن المعاصرين:

_ الرسالة للإمام المطلبي، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، د.ن، 1940م.

_ الرسالة للإمام الشافعي، شرح محمد غنايم، القاهرة، مركز الأهرام، ط1، 1408هـ/1988م.

وكلا الكتابين يستفاد منهما الخلاصات التي قدّموها حول الكتاب وإنجازات الشافعي على صعيد أصول الفقه فيه خصوصًا.

---

(10) ذكر ذلك المحقق أحمد شاكر في مقدمة كتابه. أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت204هـ)، **الرسالة**، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة، مكتبة الحلبي، ط1، 1358هـ/ 1940م، المقدمة. وهؤلاء العلماء هم:

1_ أبو بكر محمد بن عبد الله الصيرفي الفقيه الشافعي (ت330هـ).

2_ أبو الوليد حسان بن محمد النيسابوري الفقيه الشافعي (ت349هـ).

3_ محمد بن علي القفال الكبير الشاشي الفقيه الشافعي (ت365هـ).

4_ أبو بكر محمد بن عبد الله الشيباني الجوزقي النيسابوري الحافظ الفقيه (ت388هـ).

5_ أبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني والد إمام الحرمين (ت438هـ).

مشكلة البحث وحدوده

إن مشكلة البحث هي اختصار قضية كتاب "الرسالة" للشافعي، وتأكيد أهمية هذا الكتاب في كل زمان ومكان، مع الاختصار الهادف.

حدوده الزمانية: هي من الزمن الذي عاش فيه الشافعي في منتصف القرن الثاني الهجري، إلى يومنا هذا.

حدوده المكانية: هي كل مكتبة في الوطن العربي والإسلامي ضمَّت شيئًا يتعلق بالشافعي وكتابه.

المنهج المتبع في البحث:

المنهج الوصفي الاستقرائي هو المنهج المناسب لمثل هكذا مواضيع، فيتم عرض المادة، واستخلاص الفوائد وترتيبها والإضاءة عليها.

صعوبات العمل في البحث:

إن الصعوبة الوحيدة التي اعترضتني في هذا البحث قلة المؤلفين حول كتاب الشافعي "الرسالة"،

وكثرة التكرار.

واللهَ أسأل، أن يكون عملي في نشر الخير خالصًا لوجهه الكريم، إنه من وراء القصد، فهو الخبير العليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وعلى هذا أقولُ كما قال الشاعر [المديد]:

فَعَلَى الرَّحمنِ مُعتَمدي لا علَى عِلمِي ولا عَمَلِي[11]

---

[11] لم أعثر على اسم الشاعر، إنما هذا مما روي عن بعضهم من غير إثباته لقائله. بهاء الدين محمد بن حسين العاملي (ت1050هـ)، **الكشكول**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ، 165/1.

(ISSN : 2536 - 9555)

مؤلف كتاب "الرسالة"

هو محمّد بن إدريس بن العبّاس بن عثمان بن شافع بن السَّائب بن عُبَيْد بن عبد يزيد بن هشام ابن المطّلب ابن عبد مناف، الإمام، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه المِلّة، أبو عبد الله القرشيّ، ثم المطلبيّ، الشافعيّ، المكيّ، نسيب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وابن عمه.

ولد بغزة، سنة 150هـ، وانتقل إلى مكّة ونشأ فيها، وأقبل على العربية والشرع، فبرع في ذلك وتقدّم، ثم حُبّب إليه الفقه، فساد أهل زمانه، حمل عن مالك بن أنس[12] "الموطّأ" وصنّف التصانيف، ودوّن العلم، وصنّف في أصول الفقه وفروعه، وبَعُد صيته، وتكاثر عليّه الطلبة.

كان في بداية أمره مهتمًّا باللغة العربية والشعر والأدب، فساعده هذا لأن يكون له ملكة قوية في فهم النصوص الشرعية العربية، لذلك كان من فحول الشعراء في وقته، وله ديوان شعري مشهور، يغلب عليه الرقائق والزهد.

تتلمذ الشافعي على أهم فقهاء ومحدثي عصره، وعلى رأسهم الإمام مالك.

---

[12] مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر، الحِمْيري، ثم الأَصْبحِيّ، المدنيّ، حليف بني تَيْم من قريش، الإمام، إمام دار الهجرة، أبو عبد الله، ولد سنة 93هـ، عامَ موت أنس خادم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، طلب العلم وهو ابن بضع عشرة سنة. وتأهّل للفُتْيَا، وجلس للإفادة، وله إحدى وعشرون سنة، وحدّث عنه جماعة وهو حيّ شابّ طريّ، وقصده طَلَبَة العلم من الآفاق في آخر دولة أبي جعفر المنصور، وما بعد ذلك، وازدحموا عليّه في خلافة الرشيد، وإلى أن مات، قال ابن عُيَيْنة: مالك عالم أهل الحجاز، وهو حجّة زمانه، وقال الشافعيّ: إذا ذُكِرَ العلماء فمالك النجم. له نحو 1000 حديث، وعمل "الموطّأ" الذي اهتمّ به العلماء قديمًا وحديثًا معرفةً وتحصيلا، ولمالك مؤلَّف في النجوم ومنازل القمر، ورسالة في الأقضية، ورسالة آداب إلى الرشيد، وله جزء في التفسير، وكتاب السّرّ، توفّي سنة 179هـ . الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 303/6 ـ341، رقم الترجمة 1315.

تنقل الشافعي من بلد إلى بلد، وأهم مكان استقر فيه وانتشر فيه مذهبه هو مصر، فهناك بنى مذهبه الذي أصبح من أقوى المذاهب الإسلامية، خاصة بعد تأليفه كتاب "الرسالة" وكتب الرد على بعض المخالفين، وقد ساعده على انتشار مذهبه كثرة مناظراته وحواراته مع مخالفيه، وقوة حججه.

إن جميع انتاجات الشافعي الأصولية والفقهية مجموعة في موسوعة تُسمى "الأم"، وهي التي جمع فيها تلميذه الربيع كتبه كلها، وتقع في مجلدات ضخام[13].

قال فيه تلميذه الإمام أحمد بن حنبل: "كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف أو عوض؟"[14].

وتوفّي الشافعي سنة 204هـ، ودفن في القاهرة في مصر[15].

علم أصول الفقه

تعريف أصول الفقه:

"أصول الفقه" هو علم خاص بالبحث في الأدلة الشرعية الكلية، وطرائق إثباتها، وكيفية استثمارها في إنتاج الفقه. ومن التعريفات الشهيرة لعلم أصول الفقه قولهم: «أصول الفقه: معرفة دلائل الفقه إجمالًا، وكيفية الاستفادة منها، وحال المستفيد»[16].

---

[13] أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت771هـ)، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، ط2، 1413هـ، 71/2.

[14] أبو بكر ابن محمد تقي الدين الحصني الدمشقي (ت829هـ)، **دفع شُبه من شبَّه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد**، تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، د.ت، 1/ 19.

[15] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 7/ 335ـ370، رقم الترجمة 1674.

[16] أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت771هـ)، **الإبهاج في شرح المنهاج**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1416هـ/ 1995م، 19/1.

(ISSN : 2536 - 9555)

أهمية أصول الفقه:

علم أصول الفقه هو التفسير الداخلي للشريعة الإسلامية، به يوزن الفقه، وتدرك أدلته واستدلاله، فهو الأصل، وعليه يُبنى الفرع (الفقه)، والفرع بدون أصل لا قيمة له. فالشريعة في أصلها مجموعة من النصوص، يجمعها قولنا "الخطاب الشرعي"، وهذا الخطاب لا يُفهم إلا بواسطة مقاييس علمية، وضوابط منهجية، وقواعد استقرائية شرعية. وعلم أصول الفقه هو الطريق إلى فهم هذا الخطاب الشرعي وفقًا لهذه القرائن.

ثمرة أصول الفقه:

إن من العلوم المهمة للدعاة إلى دين الله علمَ أصول الفقه، ذلك العلم الذي يجمع بين المنقول والمعقول، وينير العقول لتسير وفق قواعد منهجية، فلا تضطرب في التفكير، ولا تشطح في الفهم، فتكون عائقًا أمام تقدم مسيرة الأمة نحو نهضتها العلمية المتكئة على فهم حسن لكتاب الله، وسنة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، على ما فهمه أهل العلم الأعلام وقرَّروه، لِما فيه مصلحة العباد والبلاد.

ولا يخفى على الناظر في أصول الفقه أهمية هذا العلم، وعظمته، وعلوّ منزلته بين الفنون، فهو القَدَحُ المُعَلَّى، والثَّمَر المُدَلَّى، ويكْفيه فضْلًا وشَرفًا أنه أساس الفقه وقاعدته المتينة؛ فالفقه هو هذه الأحكام الشرعية العملية المستفادَة من الأدلة التفصيلية، التي هي مستفادَة أولًا من أصول الفقه. وهكذا، فإن هذه الأحكام الشرعية هي ثمرة أصول الفقه.

ومن شرف علم أصول الفقه أيضًا أنه يَستمدّ مادّته من من الكتاب والسنة والنَّحو وغيرها، فهو ـ إذًا ـ عبارة عن جملةٍ من الفنون مختلفة المشارب. ومن شرفه أنه القاعدة الأساسة لاستنباط الأحكام الشرعية من الأدلة، وأنه به تُحفظ الشريعة، إذ جُلُّ مباحثه مصادر الشريعة التي هي الكتاب والسنة وما تفرع عنهما

من الإجماع والقياس، فلهذا العلم الحظّ الأكبر في حفظ الشريعة المباركة، فهو يحمي لها أصولها، وينافح عنها، ويتعمَّق في البحث في أحكامها ومسائلها، في حجّيتها، وفي دلالات ألفاظها المنطوقة والمفهومة، وفي أوامرها ونواهيها، وخاصّها وعامّها، والعمل عند ادعاء التعارض فيها، إلى غير ذلك من المسائل التي يعرفها من نظر في مباحث أصول الفقه.

فلله دَرُّ هذا الفن، ما أعظمه، وما أشد الحاجة إليه! وعندما رأى العلماء من السلف والخلف هذه الأهمية العظمى لهذا الفن، أقبلوا على مباحثه، فدوَّنوها، وعلى مسائله وقواعده فضبطوها، فكانت المؤلفات النافعة ما بين مطوَّل ومختصَر.

طبعات كتاب "الرسالة" وتحقيقاته[17]:

يقول أحمد شاكر عن مخطوطة كتاب الرسالة: "لم أر نسخة مخطوطة من كتاب الرسالة إلا أصل الربيع[18] ونسخة ابن جماعة[19]، ولكن نجد في

---

[17] اعتمدت في هذه الدراسة على كتاب الرسالة وفق هذه البيانات: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت204هـ)، **الرسالة**، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة، مكتبة الحلبي، ط1، 1358هـ/ 1940م.

[18] الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل، الإمام المحدث الفقيه الكبير، بقية الأعلام، أبو محمد، المرادي، مولاهم المصري المؤذن، صاحب الإمام الشافعي، وناقل علمه، وشيخ المؤذنين بجامع الفسطاط، ومستملي مشايخ وقته. مولده في سنة أربع وسبعين ومئة أو قبلها بعام. سمع عبد الله بن وهب، وبشر بن بكر التنيسي، وأيوب بن سويد الرملي، ومحمد بن إدريس المطلبي، ويحيى بن حسان، وأسد السنة، وسعيد بن أبي مريم، وأبا صالح، وعددًا كثيرًا. حدث عنه: أبو داود، وابن ماجه، والنسائي، وغيرهم. وطال عمره، واشتهر اسمه، وازدحم عليه أصحاب الحديث. قال أبو جعفر الطحاوي: مات الربيع مؤذن جامع الفسطاط في يوم الاثنين، ودفن يوم الثلاثاء لإحدى وعشرين ليلة خلت من شوال سنة سبعين ومئتين. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 12/ 587، رقم الترجمة 222.

(ISSN : 2536 - 9555)

السماعات أن أكثر الشيوخ وكثيرًا من السامعين كانت لهم نسخ يصححونها على أصل الربيع"[20].

يقع الكتاب في مجلَّد واحد متوسط الحجم، إذا جُرِّد من الحواشي والتعليقات، ومقدمته تُناهِز صفحاتها المائة.

والمراد بأصل الربيع في كلام أحمد شاكر رواية الربيع المرادي تلميذ الشافعي لكتاب "الرسالة"، وقد وصلنا بخطه في (124) صفحة، عدا أوراق السماعات، وفي آخرها إجازة بخطه أيضًا تاريخها في ذي القعدة سنة (265هـ)[21].

وكان أصل الربيع هذا ملكًا لأهل دمشق حتى عام (656هـ)، ولا يعرف من ملكه في ما بعد حتى آل إلى مكتبة الأمير مصطفى باشا فاضل، وانتقل مع مكتبته كلها إلى دار الكتب المصرية.

والمشهور أن الإمام الشافعي كتب كتابه "الرسالة" مرتين، المرة الأولى[22]: عندما كان الشافعي آنذاك شابًّا. وقد ضاعت هذه الرسالة الأولى، فليس في أيدي الناس اليوم إلا الرسالة الجديدة التي كتبها بمصر في المرة الثانية.

---

[19] بدر الدين بن جَمَاعة، محمّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جَمَاعة الكنانيّ الحمويّ الشافعيّ، أبو عبد الله، قاضٍ، من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين، ولي الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، فقضاء الشام، ثم قضاء مصر، وكان من خيار القضاة له تصانيف، منها: "المنهل الرويّ في الحديث النبويّ"، و"كشف المعاني في المتشابه من المثاني"، و"تذكرة السامع والمتكلّم في آداب العالم والمتعلّم"، و"مختصر في السيرة النبوية"، ولد سنة 639هـ، وتوفي سنة 733هـ. الزركلي، **الأعلام**، 5/ 297ـ298.

[20] الشافعي، **الرسالة**، تحقيق أحمد شاكر، المقدمة، ص15.

[21] الشافعي، **الرسالة**، تحقيق أحمد شاكر، المقدمة، ص16.

[22] ألَّفها في مكة استجابة لطلب الإمام عبد الرحمن بن مهدي (ت 198هـ). الشافعي، **الرسالة**، تحقيق أحمد شاكر، المقدمة، ص10 وما بعدها.

وقد طبع كتاب الرسالة ثلاث مرات قبل نشرة أحمد شاكر، أولها نشرة الجزماوي (المطبعة العلمية سنة 1312هـ)[23].

ومن تجليات اهتمام المعاصرين بكتاب الرسالة، كثرة طبعاتها، وخاصة الطبعة التي حققها أحمد محمد شاكر، ونشرت بالقاهرة سنة 1940، وهي مقسمة إلى 1821 فقرة مرقمة.

العناية بكتاب "الرسالة":

ألَّف الشافعي كتبًا كثيرة، بعضها كتبه بنفسه، وقرأه على الناس أو قرؤوه عليه، وبعضها أملاه إملاءً، وإحصاء هذه الكتب عسير، وقد فُقد كثير منها.

كان كتاب الرسالة، ولا يزال، من أهم ما صنف في التاريخ الإسلامي في علم أصول الفقه، بل هو أول كتاب فيه على الصحيح، فقد اختلف الباحثون في أول من ألف فيه، فمنهم من يرى أنَّ الإمام جعفرًا الصادق[24] رضي الله عنه هو واضع هذا العلم؛ أي أنه أول من دوَّنه مستقلًّا، ومِن قائل يرى أنَّ أول من دوَّن في أصول الفقه هو الإمام أبو يوسف[25] صاحب أبي حنيفة. ولكن لم يصلْ إلينا

---

[23] الشافعي، **الرسالة**، تحقيق أحمد شاكر، المقدمة، ص 10 وما بعدها.

[24] جعفر بن محمّد الصادق ابن عليّ ابن الشهيد أبي عبد الله ريحانة النبي صلى الله عليه وسلم وسبطه ومحبوبه الحسين بن أمير المؤمنين أبي الحسن عليّ بن أبي طالب بن عبد مناف بن شيبة، الإمام، الصادق، شيخ بني هاشم، أبو عبد الله القرشيّ، الهاشميّ، العلويّ، النبويّ، المدنيّ، أحد كبار الأعلام، ولد سنة 80هـ، ورأى بعض الصحابة الأجلاء، وعن عمرو بن أبي المقدام قال: كنت إذا نظرت إلى جعفر ابن محمّد، علمت أنه من سلالة النبيين، توفي رضي الله عنه سنة 148هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 5/ 455-463، رقم الترجمة 1083.

[25] القاضي أبو يوسف، الإمام، المجتهد، العلامة، المحدث، قاضي القضاة، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حُبَيْش ابن سعد بن بُجَيْر بن معاوية الأنصاري، الكوفي، ولد سنة 113هـ، وحدث عن: هشام ابن عروة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعطاء بن السائب، وأبي إسحاق الشيباتيّ، وأبي حنيفة، ولزمه، وتفقه به، وهو أنبل تلامذته، وأعلمهم،= = تخرّج به أئمة، وحدث عنه:

(ISSN : 2536 - 9555)

شيءٌ من كُتُبِهما في الباب مما يوثق به، فيبقى الإمام محمد بن إدريس الشافعي أول من ألّف في علم أصول الفقه مستقلًّا، حتى يثبت العكس بالدليل.

القضايا المعرفية التي يعالجها الشافعي في "الرسالة":

رتَّب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في كتابه "الرسالة" أبوابَ علم أصول الفقه وتعليله، وجمع فصولَه ومطالبه، ولم يقتصرْ على مبحث دون مبحث، بل بحثَ في القرآن الكريم من حيث الفهم والدلالة، وفي السُّنة أيضًا، وفي طرائق إثباتها، وعلاقتها بالقرآن.

لقد بحث في الدلالات اللفظية، فتكلَّم في العام والخاص، وفي المشترك والمجمَل والمفصل، وبحثَ في الإجماع وحقيقته، وناقشه مناقشة عِلْميَّة لم يُعرفْ أنَّ أحدًا سبقه إليها، وضبط القياس (الاجتهاد كما يسميه)، وتكلَّم في الاستحسان...

وهكذا استرسلَ الشافعي في بيان حقائق هذا العلم مبوَّبة مفصَّلة، وهو بهذا لم يُسبقْ إلى عمله، أو على التحقيق لم يُعلم إلى الآن أنَّ أحدًا سبقَه، ولا ينقص هذا من مقام مَن سبقوه، فلا ينقص هذا من مقام شيخِه مالك، ولا مِن مقام شيخ فقهاء التعليل أبي حنيفة[26]؛ فإن التدوين في عصرهما لم يكنْ تَكَامَلَ نُموُّه، ولا دعت الضرورة إلى التقعيد والضبط.

يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وعلي بن الجعد، وأسد بن الفرات، وغيرهم، قال إبراهيم ابن أبي داود البُرُلُّسي: سمعت ابن معين يقول: ما رأيت في أصحاب الرأي أثبت في الحديث، ولا أحفظ، ولا أصح رواية من أبي يوسف، وقد صحب أبا حنيفة سبع عشْرة سنة، وكان يحفظ التفسير، والمغازي، وأيام العرب، والفقه، مات في الخامس من ربيع الأول سنة 182هـ. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 6/ 576ـ578، رقم الترجمة 1448.

[26] أبو حنيفة، الإمام، فقيه الملة، النعمان بن ثابت بن زُوْطَى التيميّ، الكوفيّ، مولى بني تيم الله بن ثعلبة، ولد سنة 80هـ في حياة صغار الصحابة، ورأى أنسَ بن مالك لما قدم عليّهم الكوفة، ولم يثبت له حرف عن أحد منهم، روى عن التابعين أمثال: عطاء بن أبي رباح، وهو

ولا يعني ما تقدَّم أنَّ الشافعي قد أتى بالعلم كاملاً على كلِّ الوجوه والضروب، فلم يُبقِ مجهودًا لمن بعده، بل إنه جاء من بعده مَن زاد ونَمَّى وحرَّر مسائلَ كثيرة في هذا العلم. وهكذا تاريخ أغلب العلوم.

مصادر الشافعي في "الرسالة":

الإمام الشافعي مثل غيره من فقهاء وأصوليي الإسلام الأوائل، كان المنطلق الأول في تأليفهم هو النص، وخاصة الشافعي، فقد كان منطلقه ومصدره هو النص (القرآن والسنة)، ففرع عليهما الفروع واستنبط منهما القواعد...

وإضافة إلى النصوص فقد كان أيضًا من مصادر كتابه الرسالة أقوال السلف (الصحابة والتابعين)، وأقضية الفقهاء الكبار...

وخلاصة الأمر، فإن الإمام الشافعي اعتمد بالأساس في كتابه "الرسالة" على النص الشرعي: من حيث الفهم وفق البناء اللغوي، إذْ كان بحرًا في اللغة. وقد نص في غير ما محل على أن قضايا أصول الفقه هي قضايا لغوية بالدرجة الأولى؛ لأن جل مباحث الأصول ترجع إلى الاستعمال اللغوي، من منطوق النص ومفهومه ودلالة الألفاظ... وهو الذي سماه الأصوليون في ما بعد بـ "مبحث الدلالة". وتميزت "الرسالة" بأنها كتبت بلغة أدبية عُرفت بها كتب الشافعي.

طريقة الشافعي في "الرسالة":

يعتمد الشافعي طريقة استحضار سائل يسأله ويجيبه، ويعرض بين يديه الأدلة والحجج حتى يقنعه بالطريقة الأمثل بما يقول.

أكبر شيخ له، والشعبيّ وغيرهما. عُنِيَ بطلب الآثار، وارتحل في ذلك، وأما الفقه والتدقيق في الرأي وغوامضه، فإليه المنتهى، والناس عليّه عيال في ذلك، وقد صلّى العشاء والصبح بوضوءٍ واحد أربعين سنة، فكان لا ينام الليل بل يحييه صلاة وتضرعًا ودعاءً. توفّي شهيدًا مَسقيًّا، في سنة 150هـ وله سبعون عامًا ببغداد. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 5/ 531-538، رقم الترجمة 1129.

(ISSN : 2536 - 9555)

أبواب كتاب "الرسالة":

لم يسمّ الشافعي كتابه "الرسالة"، إنما سماه "كتابي" أو "الكتاب" من خلال ما كتب فيه.

بدأ الشافعي "الرسالة" بباب بيَّن فيه كيف بيان كتاب الله لما جاء به (ص21 وما بعدها) من أحكام العبادات والمعاملات لأن البيان اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول متشبعة الفروع.

فمن البيان في القرآن ما يكون نصًا لا يحتمل التأويل، وذلك كجمل ما فرضه الله من صلاة وزكاة ونحوهما، ومثل ما حرمه من أكل الميتة ولحم الخنزير ونحوهما. ومنه ما أحكم الله فرضه في الكتاب، ثم بين كيفه على لسان نبيه، مثل عدد الصلاة والزكاة وأوقاتها، ومنه ما سنه الرسول صلى الله عليه وسلم مما لا نص فيه في الكتاب، ولكن الله فرض علينا في الكتاب طاعته. إلى آخر ضروب البيان التي ذكرها الشافعي.

وبعد أن عرض مراتب البيان الخمسة، تناولها بالإيضاح في أبواب خمسة (ص26 وما بعدها) بذكر شواهد وأمثلة لكل منها. وجاء في الباب الأخير ما يدل على أن السنة قد تخصص الكتاب، ولهذا أتبع ذلك بأبواب: بيّن فيها ما فرضه الله من وجوب طاعة رسوله واتباع سنته.

وبعد الفراغ من ذلك أخذ يتكلم (ص106 وما بعدها) عن النسخ وحكمته، وعن الناسخ والمنسوخ، وأطال الكلام في فصول عدة في هذا الموضوع المهم. فهو يذكر أن الله فرض فرائض أثبتها، وأخرى نسخها تخفيفًا عن عباده، وأبان أنه نسخ ما نسخ من القرآن به وأن السنة لا تكون ناسخة له، بل هي تابعة له، لأن على الرسول اتباع ما يوحى إليه، وليس له تبديله من نفسه.

وأخذ بعد ذلك (ص176 وما بعدها) في بحث جمل الفرائض التي أحكم الله فرضها بكتابه، وبين كيف يكون القيام بها على لسان نبيه؛ وذلك مثل الصلاة

والزكاة والحج، فكل هذا فرض بالقرآن، ولكن السنة هي التي بينت عدد الصلوات وعدد ركعات كل منها، وكيفية أدائها في الحضر والسفر، وبينت كذلك تفصيل أحكام جميع الفرائض.

وهناك بعد ذلك باب عنوانه (باب العلل في الأحاديث) (ص210 وما بعدها) تكلم فيه على الأحاديث التي يوجد في القرآن مثلها نصًا، وأخرى في القرآن مثلها جملة.

ثم انتهى إلى الكلام على الإجماع وحجيته (ص471 وما بعدها) مبينًا أن عامة المسلمين لا تجتمع على خلاف لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا على الخطأ.

وتناول بعده القياس باعتباره أصلًا من أصول الفقه بعد الكتاب والسنة والإجماع (ص476 وما بعدها)، مبينًا الأدلة على وجوب المصير إليه عند الضرورة، وشروط القياس الصحيح، ومن يجوز له شرعًا أن يقيس، ثم من يصح منه الاجتهاد في أحكام الله.

ومن المباحث المهمة التي تناولها الشافعي بعدئذ الاستحسان، فقد ذهب إلى إبطاله (ص503 وما بعدها)؛ فذكر أنه حرام على أي إنسان أن يقول بالاستحسان إذا خالف الخبر من الكتاب أو السنة؛ لأن حلال الله وحرامه أولى ألا يقال فيها بالتعسف والاستحسان، وأنه لو قال أحد في هذا بلا خبر لازم أو قياس كان آثمًا.

وأخيرًا يختم الإمام رسالته ببيان أن أصول الفقه ليست في مرتبة واحدة، بل لكل منها مرتبة معلومة بحيث يجيء بعضها في أثر بعض فيقول: «نحكم بالكتاب والسنة المجتمع عليها التي لا اختلاف فيها، فنقول لهذا: حكمنا بالحق في الظاهر والباطن، ونحكم بالسنة قد رويت من طريق الانفراد. لا يجتمع الناس عليها، فنقول: حكمنا بالحق في الظاهر، لأنه قد يمكن الغلط في من روى

(ISSN : 2536 - 9555)

الحديث، ونحكم بالإجماع ثم القياس، وهو أضعف من هذا، ولكنها منزلة ضرورة؛ لأنه لا يحل القياس والخبر موجود، كما يكون التيمم طهارة في السفر عند الإعواز من الماء، وإنما يكون طهارة في الإعواز، فكذلك يكون ما بعد السنة حجة إذا أعوز من السنة".

موقع الشافعي بين الأئمة:

يعدّ الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت204هـ) أحد مؤسسي المذاهب السنية الأربعة الكبرى في العالم الإسلامي، وهو المذهب الشافعي. ومن أهمّ ما وصلنا من هذا الفقيه الحجازي العربي كتاب فقهي موسوم بكتاب "الأم"، وكتاب "الرسالة" الذي عدّ الأثر التأسيسي لعلم أصول الفقه.

وقد عدّ بعض علماء أهل السنة الشافعي مجدّد القرن الثاني للهجرة[27]؛ فما هي مستندات هذا الرأي في صلته بعلم أصول الفقه؟

يقوم هذا الرأي أساسًا، على أساس كتاب الرسالة الذي صنّف الشافعي نسخة أولى منه، إمّا في مكّة أو في بغداد، وهذه النسخة القديمة لم تبلغنا. إلاّ أنّ كثيرًا من نصوصها توجد في كتب بعض العلماء المتأخرين. وعلى خلاف ذلك، وصلتنا النسخة الجديدة من الرسالة، وهي موضوعة في مصر بين سنة 199هـ، وهو التاريخ الذي وصل فيه الشافعي إلى هذا البلد، وسنة 204هـ تاريخ وفاته.

والملاحظ، أنّ اسم الرسالة ليس من وضع مؤلّفها، الذي أطلق عليها اسم الكتاب؛ ويظهر أنّها سمّيت الرسالة في عصره بسبب إرساله إياها إلى عبد الرحمن بن مهدي، وهو أحد محدّثي البصرة (ت 192هـ أو 198هـ)، وكان هذا المحدّث قد طلب من الشافعي أن يضع له كتابًا يتضمّن معاني القرآن، ويجمع فيه قبول الأخبار؛ أي شروط قبول الحديث، ويبيّن فيه حجيّة الإجماع والناسخ

[27] **النووي**، المجموع شرح المهذب، **537/1**.

والمنسوخ من القرآن والسنّة[28]، فأجابه الشافعي إلى طلبه الذي عدّ السبب الظاهر لتأليف الرسالة.

ويمكن تبويب مباحث الرسالة إلى عناصر أربعة:

1_ المباحث المتصلة بالقرآن، كالخاص والعام والنسخ.

2_ المباحث الخاصّة بالسنّة، وخاصّة خبر الآحاد واختلاف الحديث.

3_ المباحث الخاصة بالإجماع.

4_ المباحث الخاصة بالقياس.

ولئن كانت الرسالة لم تذكر إلا نادرًا في كتابات القرن الثالث، ولم تُثِر أيّ ردّ أو شرح، فإنّ أواخر هذا القرن شهدت بداية الاهتمام بها بفضل عدد من أعلام الشافعيّة[29]، في مقدّمتهم أبو العباس ابن سريج (ت 306هـ)، الذي وصف بالشافعي الصغير ومجدّد قرنه؛ فقد كان زعيم المذهب الشافعي، ومن أهمّ ناشريه بسبب كثرة تلاميذه.

إن البيان القرآني أضحى يتهدّده اقتحام الدخيل على اللغة العربية، ممّا أدى إلى فساد السليقة العربيّة، وضعف المدارك عن فهم مقاصد الشريعة[30]. وقد ندّد

---

[28] **أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت463هـ)**، تاريخ بغداد، **د.ب، د.ن، د.ت، 2/ 64، 65.**

[29] وضعت في هذا القرن عدّة شروح للرّسالة لم تصلنا كلّها، على غرار شرح أبي بكر الصيرفي (ت 330هـ)، وشرح أبي الوليد النيسابوري (ت 349هـ)، وشرح القفال الكبير الشاشي (ت 365هـ)، وشرح أبي بكر الجوزقي النيسابوري (ت 378هـ)، وشرح أبي محمد الجويني والد إمام الحرمين (ت 438هـ).

[30] لئن كان السبب الظاهر والمباشر لتأليف الشافعي رسالته، يتمثّل في طلب عبد الرحمن بن مهدي، فإنّ الدوافع الخفيّة لعمله تكمن في الواقع التاريخي الذي رسم له ابن قتيبة (ت 276هـ) صورة قاتمة. يقول ابن قتيبة: "فإنّك كتبت إلي تعلمني ما وقفت عليه من ثلب أهل الكلام لأهل الحديث واتهامهم وإسهابهم في الكتب، بذمّهم ورميهم بحمل الكذب، ورواية المتناقض، حتى وقع

(ISSN : 2536 - 9555)

الشافعي بشدّة في مقدّمة رسالته بقوم وصفهم بأنّهم تكلّموا في العلم، وهم يجهلون أساليب العربيّة، وهذا مصدر الاختلاف والتنازع في نظره[31].

إلى جانب هذا، كانت وضعيّة الفقه قد بلغت حدًّا من الاضطراب والفوضى، بسبب حريّة الاجتهاد في ذلك العصر، وحدوث مشكلات لم يرد فيها نصّ قرآني صريح، واختلاف فقهاء الأمصار المستندين إلى أعراف مناطقهم. وقد ظهر الخلاف الفقهي منذ نشأة المدارس الفقهيّة، حوالي النصف الأوّل من القرن الثاني للهجرة؛ وهي مدارس تتوزّع على ثلاثة مراكز جغرافيّة هي: الحجاز والعراق والشام. وقد أدى ذلك إلى تعدّد الأحكام، والاجتهادات الفرديّة وتنوّعها، إلى درجة تناقضت معها أحكام القضاة في القضيّة عينها، بين منطقة وأخرى. ولعلّ أهمّ تجليات هذا الخلاف، المناظرات التي جمعت علماء المدينة الواحدة أو علماء المدن المختلفة، واشتداد الخلاف بين مدرسة الرأي ومدرسة الحديث خصوصًا.

وتكاد المصادر القديمة تجمع على أنّ الشافعي أوّل من صنّف في أصول الفقه، وهذا الموقف غير خاص بعلماء الشافعيّة، بل شاطرهم فيه أيضًا علماء المالكيّة والحنبليّة وغيرهم.

فعلى صعيد علماء المذهب الشافعي، هذا الجويني[32] يقرّ أنّه لم يسبق الشافعي أحد في تصانيف الأصول ومعرفتها[33].

الاختلاف، وكثرت النحل، وتقطّعت العصم، وتعادى المسلمون، وأكفر بعضهم بعضا، وتعلّق كلّ فريق منهم لمذهبه بجنس من الحديث". أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت276هـ)، تأويل مختلف الحديث، د.ن، د.ب، د.ت، ص29.

[31] الشافعي، الرسالة، ص40.

[32] أبو المعالي الجُوَيْنيّ، عبد الملك ابن الإمام أبي محمّد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمّد ابن حَيُّوَيْه الجوينيّ، ثم النيسابوريّ، ضياء الدين، الإمام الكبير، شيخ الشافعيّة، إمام الحرمين، صاحب التصانيف، ولد سنة 419هـ. له من الكتب: "نهاية المطلب

أمّا فخر الدين الرازي[34]؛ فهو يعد نسبة الشافعي إلى علم الأصول كنسبة الخليل بن أحمد[35] إلى علم العروض، وهو يرى أنّ الناس كانوا قبل الإمام الشافعي يتكلّمون في مسائل الفقه، ويستدلّون ويعترضون، ولكن ما كان لهم قانون كليّ يرجعون إليه في معرفة دلائل الشريعة، وفي كيفيّة معارضتها وترجيحها، فاستنبط الشافعي علم أصول الفقه، ووضع للناس قانونًا كليًّا يرجع إليه في معرفة مراتب أدلّة الشرع[36].

في المَذْهَب"، و"الإرشاد في أصول الدين"، وغيرهما، توفّي في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة 478هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، 11/ 621 ـ625، رقم الترجمة 4475.

[33] هذا الموقف ذكره الجويني في شرح رسالة الشافعي. بدر الدين محمّد بن بهادُر الزركشي (ت794هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، د.ن، د.ب، د.ت، 1/ 10.

[34] الفخر الرازيّ، محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيميّ البكريّ، أبو عبيد الله، فخر الدين الرازيّ، الإمام المفسّر، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، وهو قرشيّ النسب، أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها، وكان يحسن الفارسية، من تصانيفه: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، في تفسير القرآن الكريم، ولوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات، ومعالم أصول الدين، وأساس التقديس، والمحصول في علم الأصول. ولد 544هـ، وتوفي سنة 606هـ. الزركلي، الأعلام، 6/ 313.

[35] الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن. من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض. وهو أستاذ سيبويه النحوي. ولد ومات في البصرة، وعاش فقيرًا صابرًا. كان شعث الرأس، شاحب اللون، قشف الهيئة، متمزق الثياب، متقطع القدمين، مغمورًا في الناس لا يُعرف. فكَّر في ابتكار طريقة في الحساب تسهّله على العامة، فدخل المسجد وهو يُعمل فكرَه، فصدمته سارية وهو غافل، فكانت سبب موته. والفراهيدي نسبة إلى بطن من الأزد، وكذلك اليحمدي. له كتاب: "العين" ، في اللغة، و"معاني الحروف"، و"جملة آلات العرب"، و"تفسير حروف اللغة"، وكتاب "العروض"، و"النقط والشكل"، و"النغم". ولد سنة 100هـ، وتوفي سنة 170هـ. الزركلي، الأعلام، 2/ 314.

[36] أبو عبيد الله محمد بن عمر الفخر الرازي (ت606هـ)، مناقب الإمام الشافعي، د.ن، د.ب، د.ت، ص98، 99.

(ISSN : 2536 - 9555)

ونسج الزركشي[37] على المنوال عينه، في أنّ أول من صنّف في أصول الفقه هو الشافعي، صنّف فيه كتاب "الرسالة"، وكتاب "أحكام القرآن"، و"اختلاف الحديث"، و"إبطال الاستحسان"، وكتاب "جماع العلم"، وكتاب "القياس" الذي ذكر فيه تضليل المعتزلة[38] ورجوعه عن قبول شهادتهم، ثمّ تبعه المصنّفون في الأصول[39].

وتوجد شهادات أخرى تبرز أوليّة الشافعي في تأسيس علم أصول الفقه عند غير علماء الشافعيّة[40]، من ذلك موقف ابن عقيل الحنبلي[41] الذي عدَّ الشافعي

---

[37] بدر الدين الزركشيّ، محمّد بن بهادُر بن عبد الله الزركشيّ، أبو عبد الله، عالم بفقه الشافعيّة والأصول، تركيّ الأصل، مصريّ المولد والوفاة، له تصانيف كثيرة في عدّة فنون، منها: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، ولقطة العجلان، وإعلام الساجد بأحكام المساجد، والديباج في توضيح المنهاج، والمنثور، ويعرف بقواعد الزركشيّ في أصول الفقه، والتنقيح لألفاظ الجامع الصحيح. ولد سنة 745هـ، وتوفي سنة 794هـ. الزركلي، الأعلام، 6/ 60، 61.

[38] المعتزلة: ينقسمون إلى عشرين فرقة، كلّ فرقة منها تكفّر سائرها، ويجمعها كلها في بدعتها أمور، منها نفيها كلّها عن الله عز وجل صفاته الأزلية، ومنها اتفاقهم على القول بحدوث كلام الله تعالى، ومنها قولهم جميعًا بأن الله غير خالق لأكساب الناس ولا لشيء من أعمال الحيوانات، ولأجل هذا سماهم المسلمون قدَرية؛ ومنها اتفاقهم على دعواهم في الفاسق من أمة الإسلام بالمنزلة بين المنزلتين، وأنه لا مؤمن ولا كافر، ولأجل هذا سماهم المسلمون معتزلة لاعتزالهم قول الأمة بأسرها؛ وغيرها من الضلالات. أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت429هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة د.ت، الفصل3، ص93.

[39] الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، 1/ 10.

[40] ذهب إلى ذلك الأسنوي الفقيه الشافعي وغيره. أبو الفلاح، عبد الحيّ بن أحمد بن محمد بن العماد (ت1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، د.ن، د.ب، د.ت، 9/2-10.

أبا علم أصول الفقه[42]، وكذلك ابن خلدون المالكي؛ فهو يعد الشافعي أوّل من كتب في علم أصول الفقه، أملى فيه رسالته المشهورة[43].

الخاتمة

لقد ألَّف كثيرون في مآثر الشافعي محمد بن إدريس، على مر السنين، فضاع كثير منها، ولقد مدحه معاصروه من العلماء، ويكفي الشافعي أن مذهبه إلى يومنا هذا يُعمل به في كثير من بلاد الله، فغالب أهل مصر وأثيوبيا والصومال وكينيا وجيبوتي وبلاد الشام واليمن وعُمان والإمارات والعراق وكردستان وأطراف إيران مما يلي كردستان وداغستان وشرق تركيا وأندونيسيا وماليزيا وسيريلنكا وجنوب إفريقيا وفيتنام وتايلاند هم من الشافعية.

ولقد ألَّف كثيرون من العلماء في شرح كتب الشافعي، وكلهم عِيال على صاحب المذهب، الذي كان كالشمس للناس، والصحة للبدن.

---

[41] ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشي الهامشي، بهاء الدين، ابن عقيل. من أئمة النحاة. من نسل عقيل بن أبي طالب. مولده ووفاته في القاهرة. كان بعض أسلافه يقيمون في همذان أو آمد، ولعلهم انتقلوا من إحداهما إلى مصر، فولد بها عبد الله، فعرفه مترجموه بالهمذاني (أو الآمدي) البالسي ثم المصري. قال ابن حيان: ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل. ولي قضاء الديار المصرية مدة قصيرة. له: "شرح ألفية ابن مالك"، و"التعليق الوجيز على الكتاب العزيز" تفسير، لم يكمله، و"الجامع النفيس" في فقه الشافعية، مبسوط جدًّا، لم يكمله، و"المساعد" في شرح التسهيل، نحو. ولد 694هـ، وتوفي 769هـ. الزركلي، الأعلام، 253/8.

[42] يقول ابن عقيل: "وذلك أن الشافعي أبو هذا العلم وأمّه، وهو أوّل من هذب أصول الفقه، ومن غزارة علمه وكثرة فضله علم أن البيان ممّا لا يضبطه أحد". عبد الله بن عبد الرحمن، بهاء الدين ابن عقيل (ت769هـ)، الواضح في أصول الفقه، د.ن، د.ب، د.ت، ص103.

[43] أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ولي الدين ابن خلدون (ت808هـ)، المقدمة، د.ن، د.ب، د.ت، ص1.

(ISSN : 2536 - 9555)

وهذا كتاب الشافعي "الرسالة" نبراس أضاء لأهل الفقه دروبهم، بما فتح الله عليه من العلم والفهم والاجتهاد وصحة النظر ووفرة العقل؛ وقد امتاز كتاب "الرسالة" بأشياء كثيرة، منها:

1_ يبدع في تأصيل علمَي أصول الفقه ومصطلح الحديث، مع جِدة العلمين، بل كانا في مرحلة التأسيس.

2_ يتخيَّر جزالة العبارة واللفظ وبلاغة التعبير.

3_ يربط المسائل بالدلائل، ويكثر من الاستخراج والاستنباط من نصوص الوحيَين.

4_ يعرض للمسائل بأسلوب المناظرة، وهو من الأساليب النافعة في تقرير العلم وتفهيمه.

5_ يذكر الأمثلة ويكثر منها عند عرضه لقاعدة أصولية أو حديثية، فتكون الصورة متكاملة عند المتفقه، فهو يعرف القاعدة ومثالها فيورثه ملَكة فقهية وعلمية قوية.

6_ ينصف من النفس في نظره في النصوص، وكذلك في من خالفه من أهل العلم والفضل، والأدب الرفيع، في عرض مسائل الخلاف بعبارة رشيقة مهذبة، مع الاعتذار للمخالف ما أمكن.

رحم الله الإمام الشافعي، وجزاه الله عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم خيرًا.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

_ القرآن الكريم.

1_ بدر الدين محمّد بن بهادُر الزركشي (ت794هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، **د.ن، د.ب، د.ت.**

2_ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت463هـ)، تاريخ بغداد، **د.ب، د.ن، د.ت.**

3_ أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم (ت287هـ)، **السنة**، د.ب، د.ن، د.ت.

4_ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275هـ)، **سنن أبي داود، د.ن، د.ب، د.ت.**

5_ أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت771هـ):

أ_ **الإبهاج في شرح المنهاج**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1416هـ/ 1995م.

ب_ **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، ط2، 1413هـ.

6_ أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت261هـ)، **صحيح مسلم**، بيروت، دار الجيل، د.ت.

7_ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ولي الدين ابن خلدون (ت808هـ)، المقدمة، **د.ن، د.ب، د.ت.**

8_ أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت204هـ)، **الرسالة**، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة، مكتبة الحلبي، ط1، 1358هـ/ 1940م.

9_ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت276هـ)، تأويل مختلف الحديث، **د.ن، د.ب، د.ت.**

(ISSN : 2536 - 9555)

10_ عبد الله بن عبد الرحمن بهاء الدين ابن عقيل (ت769هـ)، الواضح في أصول الفقه، **د.ن، د.ب، د.ت.**

11_ أبو عبيد الله محمد بن عمر الفخر الرازي (ت606هـ)، مناقب الإمام الشافعي، **د.ن، د.ب، د.ت.**

12_ محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت748هـ)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق مصطفى شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2007م.

13_ أبو بكر ابن محمد تقي الدين الحصني الدمشقي (ت829هـ)، **دفع شُبه من شبَّه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد**، تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، د.ت.

14_ محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت676هـ)، **المجموع شرح المهذب**، جدة، مكتبة الإرشاد، د.ت.

15_ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت429هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، **تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة د.ت.**

المراجع

1_ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي (ت1050هـ)، **الكشكول**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ.

2_ خير الدين الزركليّ، **الأعلام**، بيروت، دار العلم للملايين، ط10، 1992م.

3_ أبو الفلاح، عبد الحيّ بن أحمد بن محمد **بن العماد (ت1089هـ)**، شذرات الذهب **في أخبار من ذهب، د.ن، د.ب، د.ت.**

4_ محمد غنايم، **الرسالة للإمام الشافعي**، القاهرة، مركز الأهرام، ط1، 1408هـ/1988م.